بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهذا من أوصاف القرآن العظيمة التي تبعث على الإقبال عليه، وتدعو إلى الصدور عنه، ومراعاة الحدود التي جاء بيانها في طلب الاستشفاء بالقرآن والعلاج به.

إنَّ إقبال المسلم على كتاب الله تعالى للاستشفاء به دليل على تأثره بالقرآن، وحُسْن ظنه بالله، وقوة يقينه بأثر القرآن في حصول العافية وتحقق الشفاء.

ووَصْف القرآن بالشفاء قد جاء في كتاب الله في غير موضع، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقد قرر علماء التفسير أنَّ وصف القرآن بالشفاء شامل لكل مرض، وعام لكل داء حسي أو معنوي، فهو شفاء من الأمراض الجسدية، وشفاء من أمراض الشبهات وأمراض الشهوات، أيّاً كانت تلك الشبهة أو الشهوة، فهو شفاء من ظلمات الكفر والشرك، وشفاء من النفاق على تفاوت أنواعه، وشفاء من داء الجهل على اختلاف طرقه، وشفاء من البدع والمحدَثات وإن تباينت درجاتها، وشفاء من الحيرة والشك والقلق والوسوسة، والخصال الرديئة، والأخلاق السيئة، والميولات الفاسدة، ونحو ذلك.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقرراً هذا الوصف للقرآن: «جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات، والقرآن شفاء للنوعين: ففيه من البيِّنات والبراهين القطعية ما يبيِّن الحق من الباطل، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية -من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد، والنبوات، ورد النِّحَل الباطلة والآراء الفاسدة- مثل القرآن؛ فإنه كفيل بذلك كله، متضمن له على أتمِّ الوجوه وأحسنها، وأقربها إلى العقول، وأفصحها بياناً، فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه».

إلى أن قال: «وأما شفاؤه لمرض الشهوات فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة؛ بالترغيب والترهيب، والتزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة، والأمثال والقصص التي فيها أنواع العبر والاستبصار، فيرغب القلب السليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه في معاشه ومعاده، ويرغب عمَّا يضره، فيصير القلب محباً للرشد، مبغضاً للغي، فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة، فيصلح القلب، فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فطر عليها، فتصلح أفعاله الاختيارية الكسبية، كما يعود البدن بصحته وصلاحه إلى الحال الطبيعي، فيصير بحيث لا يقبل إلا الحق...فيتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكِّيه ويقوِّيه، ويؤيده ويفرحه، ويسره وينشطه، ويثبت ملكه، كما يتغذى البدن بما ينميه ويقويه، وكلٌّ من القلب والبدن محتاج إلى أن يتربَّى، فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح، فكما أنَّ البدن محتاج إلى أن يُرَبَّى بالأغذية المصلحة له، والحمية عمَّا يضره، فلا ينمو إلا بإعطاء ما ينفعه، ومنع ما يضره؛ فكذلك القلب لا يزكو ولا ينمو ولا يتم صلاحه إلا بذلك، ولا سبيل له إلى الوصول إلى ذلك إلا من القرآن، وإن وصل إلى شيء منه من غيره فهو نزر يسير، لا يحصل تمام المقصود»[1].

وبهذا السياق الشافي والبيان الكافي يُدرك المرء تماماً حاجته إلى الاستشفاء بالقرآن من الأمراض بجميع أنواعها.

ومن هنا جاءت وصايا سلفنا بالتنبيه على العناية بالقرآن والاستشفاء به، فمن ذلك ما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام

(١) إغاثة اللهفان (١/٧٠-٧٣).

في كتابه (فضائل القرآن) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل»[٢].

وروى أيضاً عن قتادة أنه قال: «ما جالسَ أحد القرآن إلا فارقه بزيادة أو نقصان». ثم قرأ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[٣].

وهنا تنبيهات عدة لا بد من ذكرها لأهميتها في مسألة الاستشفاء بالقرآن:

١- أنَّ الاستشفاء بالقرآن مقيد بالطريقة التي جاءت النصوص ببيانها من القراءة على المريض والنفث أو النفخ عليه، وكذا بالتفكر في آياته والتدبر في معانيه، والنظر في تقريراته مع الصدق في فهم مراد الله تعالى، إن كان المرض شبهة؛ فإنَّ «مَن تدبَّر القرآن طالباً للهدى منه تبيَّن له طريق الحق»[٤].

أما تعليق القرآن على الرقاب، ووضعُه على الأكتاف فليست بطريقة شرعية في الاستشفاء بالقرآن، يقول إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغيره»[٥].

(٢) فضائل القرآن (ص:٥٧).
(٣) المرجع السابق (ص:٥٦).
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣٧/٣).
(٥) فضائل القرآن (ص:٣٨٢).

وروى ابن أبي شيبة عن إبراهيم النخعي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً: «أنه كره تعليق شيء من القرآن»[٦]، ولهذا قال ابن العربي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتعليق القرآن ليس من السُّنة، وإنما السُّنة فيه الذكر دون التعليق»[٧]، أي: قراءته دون تعليق.

٢- أنَّ على المستَشْفِيَ بالقرآن أن يكون مخلصاً قصده في ذلك، صادق النية، قوي الإيمان، ثابت اليقين، كثير الرغبة فيما عند الله؛ فبهذا يتحقق الانتفاع بكتاب الله، وما تخلَّف الشفاء بالقرآن عند كثير من الناس إلا لضعف إيمانهم وفساد قصدهم، إذ إنَّ عدداً غير قليلٍ يستعمل القرآن تجربة ويعامله معاملة سائر الأدوية الدنيوية القابلة للصحة والصواب، والمحتملة للفساد والخطأ؛ فيُحرم بسبب ذلك الانتفاع بالقرآن والشفاء بسببه، فالقرآن كلام الله الذي وصَفه الله بنفسه بالشفاء، «ومن المحال أن لا يحصل الشفاء والهدى من كلام الله تعالى»[٨].

والحمد لله رب العالمين.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٤٦٤).
(٧) عارضة الأحوذي (ص:٢٩١).
(٨) إغاثة اللهفان (٧١/١) باختصار.

سلسلة مطويات شبكة بينونة

فوائد قرآنية ١٧

الاستشفاء بالقرآن

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE